ومطموعا قوله وقيل يخاف المطر من ان يضره عطف على قوله خوفا من اذاه وطمعا في الغيث اختار
ان يكون المخوف منه والمطموع فيه شيئان مختلفان وضعف ان يكون المراد منهما شيئ واحد بالنسبة
الى شخصين واعلم انه تعالى لما خوف العباد بانزال ما لا مرد له اتبعه بذكر ايات دالة على وجود الصانع
القادر على ما يشاء فقال هو الذي يريكم البرق الاية والبرق دليل عجيب على قدرة الله تعالى وبيانه ان
السحاب لاشك انه جسم مركب من اجزاء رطبة مائية ومن اجزاء هوائية ولاشك ان الغالب عليه
الاجزاء المائية والماء جسم بارد رطب والنار جسم يابس وحصول الضد من الضد على خلاف العقل فلا
بد من صانع مختار يظهر الضد من الضد والنوع الثاني من دلائل وجود الصانع وقدرته
احداث السحاب الثقال وخلقه لان هذه الاجزاء المائية المستوية بالاجزاء الهوائية اما حدثت
وتكونت في جو الهواء بقدرة المحدث القادر على ما يشاء والقول بان تلك الاجزاء تصاعدت
من الارض فلما وصلت الى الطبقة الباردة من الهواء بردت فثقلت فنزلت الى الارض باطل
لان الامطار مختلفة فتارة تكون قطراتها كبيرة وتارة تكون صغيرة وتارة تكون متقاربة
واخرى تكون متباعدة وتارة تدوم زمانا طويلا وتارة لا تدوم فاختلاف الامطار في هذه الصفات
مع ان طبيعة الارض واحدة وكذا طبيعة الشمس المسخنة للبخارات واحدة لابد ان يكون بتخصيص
الفاعل المختار وايضا فالتجربة دلت على ان للدعاء والتضرع في نزول الغيث اثرا عظيما
فلذلك كانت صلوة الاستسقاء مشروعة فعلمنا ان المؤثر فيه هو قدرة الفاعل لا الطبيعة
والخاصية والنوع الثالث من الدلائل المذكورة في هذه الاية الرعد اختلف العلماء في الرعد
والبرق فقال بعضهم الرعد اسم ملك من الملائكة وهذا الصوت المسموع هو صوت ذلك الملك
بالتسبيح والتهليل وذلك الصوت ايضا يسمى بالرعد ويؤيد هذا ما روي عن ابن عباس رضي انه قال ان
اليهود سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد ما هو قال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق
من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله تعالى قالوا فما الصوت الذي يسمع قال زجره السحاب
اذا اشتد سحابه ضمها واذا اشتد غضبه طارت من فيه نار هي الصاعقة وقيل الرعد ملك والبرق
سوطه الذي يزجي به السحاب وروي عنه عليه السلام انه قال ان الله ينشئ السحاب فينطق احسن المنطق
ويضحك احسن الضحك فنطقه الرعد وضحكه البرق وهذا القول غير مستبعد عقلا وذلك لان البنية
ليست شرطا للحيوة عند اهل السنة فلا يبعد من الله تعالى ان يخلق الحيوة والعلم والقدرة والنطق فيكون
هذا الصوت المسموع فعلا له والمخاريق جمع مخراق وهو في الاصل ثوب يلف ويضرب الصبيان بعضهم بعضا
والمراد به هنا آلة يسوق بها الملائكة السحاب وقال بعضهم ان الرعد اسم لهذا الصوت المخصوص واذا
كان سببا حاملا لمن يسمعه على ان يسبح الله تعالى وجه اسناد التسبيح والحمد اليه مجازا فقيل ويسبح

الرعد بحمده قوله والملائكة من خيفته عطف على قوله ويسبح سامعوه يعني ان معنى تسبيح الرعد وتحميده
على تقدير ان يراد من الرعد الصوت المخصوص انه يسبح ويحمد نفسه حقيقة بناء على ان التسبيح والتقديس
وما يجري مجراهما ليس الا بيان يدل على حصول التنزيه والتقديس لله تعالى فلما كان حدوث هذا
الصوت دليلا على وجود موجود متعال عن النقص والزوال موصوف بنعوت الفضل والجلال
كان في ذلك الحصول تسبيحا وتحميدا لله تعالى فلذلك قيل في حمل الرعد بمعنى الصوت المخصوص انه يسبح بحمده
نعوت المص ويسبح سامعوه مبني على ان يكون المراد بالرعد هذا الصوت المخصوص ثم اشار الى احتمال
ان يكون المراد منه الملك الموكل بالسحاب حكاية ما روي عن ابن عباس وقدم الاحتمال الاول بناء
على ان عطف قوله والملائكة من خيفته على الرعد يؤذن بان الرعد ليس ملكا لان العطف يقتضي
التغاير بين المعطوف والمعطوف عليه ومن ذهب الى ان المراد بالرعد الملك الموكل بالسحاب انه يقول الرعد
وان كان من جنس الملائكة الا انه افرد بالذكر على سبيل التشريف وقد اشتهر بين [illegible]
ان العام اذا عطف على الخاص يراد به الافراد المغايرة لذلك الخاص وروي عن ابن عباس رضي
ان الملائكة خائفون من الله تعالى وليس خوفهم كخوف ابن آدم فانه لا يعرف احدهم من على يمينه ولا من على شماله ولا يشغلهم
عن عبادة الله تعالى طعام ولا شراب ولا شيئ اصلا والنوع الرابع من الدلائل المذكورة في هذه الاية
ما ذكره الله تعالى بقوله ويرسل الصواعق فان امر الصاعقة عجيب جدا وذلك لانها نار تتولد من السحاب
مع ان طبيعة النار حارة يابسة ضد طبيعة السحاب فوجب ان يكون طبيعتها في الحرارة واليبوسة
اضعف من طبيعة النيران الحادثة عندنا على ما يقتضيه العقل وليس الامر كذلك بل هي اقوى
نيران هذا العالم فانها اذا نزلت من السحاب فربما غاصت في البحر واحرقت الحيتان تحت البحر
فظهر ان اختصاصها بمزيد هذه القوة لابد وان يكون بسبب تخصيص الفاعل المختار اياها بذلك
ثم انه تعالى بين دلائل كمال علمه بقوله يعلم ما تحمل كل انثى الاية ثم بين دلائل كمال قدرته بذكر ما ذكره
من الايات قال بعد ذلك وهم يجادلون في الله اي هؤلاء الكفار مع ظهور هذه الدلائل يجادلون في
الله والواو التي في هذه الجملة ان كانت للحال يكون المعنى فيصيب بالصاعقة من يشاء في حال جداله
فان اربد بن ربيعة لما جادل في الله احرقته الصاعقة وان كانت لعطف الجملة على الجملة يكون عطف
جملة وهم يجادلون على جملة قوله تعالى الله يعلم ما تحمل كل انثى الى اخر الايات ويكون انتظام هذه الجملة
بما قبلها انه تعالى اخبر اولا عن علمه الكامل وقدرته الكاملة الله يعلم ما تحمل كل انثى الى قوله الكبير المتعال
ثم اخبر عن استواء الظاهر والخفي عنده بقوله سواء منكم من اسر القول ومن جهر به ثم اخبر ما دل
على قدرته الغالبة وحكمته الباهرة بقوله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا
اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ثم اخبر عن حال من يدعو الله تعالى وتعرضه بالالوهية بقوله هو الذي

Copyright © King Saud University